



ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجلَّة الرَّاسخون

مجلَّة عالميَّة محكَّمة

ISSN: 2462-2508
Special Issue, February 2022
إصدار خاص - فبراير 2022



مجلة الراسخــــون

مجلة عالمية محكمة

ISSN:2462-2508

إصدار خاص فبراير 2022

أولًا: الدراسات الإسلامية

ثانياً: الدراسات اللغوية

المدرسة الاستشراقية البريطانية في الرحلات إلى مكة المكرمة من القرن العاشر وحتى القرن الرابع عشر الهجري (دراسة وصفية تحليلية)

د. عبد الله علي القرني

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد قسم الدعوة والثقافة الإسلامية جامعة أم القري

aaqrni@uqu.edu.sa

الملخص

تناول هذا البحث المدرسة الاستشراقية البريطانية من خلال رحلات المستشرقين إلى مكة، التي كانت أبرز المدارس وأوسعها، حيث كانت المدرسة الأبرز في ذلك ولها سمات خاصة بها.

وهدف البحث بيان اهتمام المدرسة الاستشراقية البريطانية بمكة من خلال الرحلات الاستشراقية إليها، وإبراز سمات المدرسة البريطانية في الرحلات الاستشراقية، ورصد أبرز الرحالة المستشرقين البريطانيين ورحلاتهم إلى مكة، والوقوف على أبرز انطباعاتهم. واستخدم الباحث المنهج الوصفي، وقسم البحث إلى ثلاثة مباحث. ومن نتائج البحث:

- تعد المدرسة الاستشراقية البريطانية من أقدم المدارس، وأعرقها، وأطولها ارتباطًا بالشرق.
- تميّز العديد من الرحالة في المدرسة البريطانية بمعلوماتهم الدقيقة، ومستواهم العلمي الرفيع، ممّا جعل لمعلوماتهم التي أوردوها المقام الرفيع في مدوّنات الرحلات إلى مكة.
- ثمانية من الرحالة المستشرقين البريطانيين وصلوا إلى مكة، ولكل واحد منهم شخصيته وغاياته المختلفة من يد للاستعمار إلى باحث مستطلع إلى مسلم.

الكلمات المفتاحية: المدرسة البريطانية – الاستشراق – الرحالة – الرحلات - مكة.

Abstract

This study dealt with the British Oriental School through the Orientalists' journeys to Mecca, which was the most prominent widespread school, and had its own characteristics. The aim of the study is to show the interest of the British Oriental School in Makkah, via their Orientalist journeys to it, in order to highlight the characteristics of the British School in Orientalist journeys, to monitor the most prominent British Orientalist travelers and their journeys to Mecca, and to identify their most prominent impressions. The researcher used the descriptive approach and divided the paper into three sections. The findings of the study are as follows:

1. The British Oriental School is one of the oldest (and longest) schools associated to the East.
2. Many of the travellers of the British School were distinguished by their accurate information and their high scientific level, which made their information reported in the travel blogs to Mecca.
3. Eight British orientalist travelers arrived in Mecca, and each one of them had his own personality and different goals; from colonialism to a researcher seeking a Muslim.

Key words: The British School, Orientalism, Travellers, Journeys, Mecca

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد:

فقد كانت مكة المكرمة وما زالت محط أنظار العالم كله واهتمامه، لاسيما العلماء الغربيين والمفكرين والباحثين والمستشرقين منهم على وجه الخصوص، حيث بُذلت الكثير من الجهود الاستشراقية للتعرف على مكة وأحوالها، والتي كان من أبرزها الرحلات الاستشراقية التي قام بها جمع كبير من الرحالة المستشرقين من مختلف البلاد الأوروبية للتعرف على مكة وأحوالها عن قرب، ولعل المدرسة الاستشراقية البريطانية تتزعم المدارس الاستشراقية الغربية كلها في الرحلة إلى مكة المكرمة، خاصة ما قبل الحقبة الاستعمارية وأثنائها.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في تطرقه لموضوع يجمع بين الاستشراق والرحلات الأوروبية لبعض المستشرقين إلى مكة المكرمة دون غيرها من المدن والبلدان، واختصاصه بالمدرسة الاستشراقية البريطانية في الرحلات إلى مكة دون غيرها من المدارس الأخرى. وكذلك تتمثل أهمية هذا الموضوع في إبراز مدى العناية الفائقة التي حظيت بها مكة المكرمة من جمع كبير من الرحالة المستشرقين البريطانيين وانطباعاتهم وكتاباتهم عنها.

أسباب اختيار الموضوع:

1. الاهتمام الشخصي من الباحث بمكة المكرمة، وسكناه لها وعمله بها وتعلقه بماضيها وحاضرها وكل ما يتعلق بها جعلها في مقدمة أولوياته البحثية.
2. التجربة البحثية الدراسية السابقة للباحث حول مكة المكرمة، دفعت به للاهتمام ببعض الجزئيات المتعلقة بمكة والكتابات المتعلقة بها.
3. إثراء المكتبة الإسلامية بالأبحاث التي قد يحتاجها الباحثون وطلاب العلم مما يتعلق بمكة المكرمة واهتمامات الرحالة المستشرقين بها.

أهداف البحث:

1. بيان مدى اهتمام المدرسة الاستشراقية البريطانية بمكة من خلال الرحلات الاستشراقية إليها..
2. إبراز سمات المدرسة البريطانية في الرحلات الاستشراقية إلى مكة المكرمة.
3. رصد أبرز الرحالة المستشرقين البريطانيين ورحلاتهم إلى مكة المكرمة.
4. الوقوف على أبرز انطباعات الرحالة المستشرقين البريطانيين عن مكة المكرمة.

إشكالية البحث:

لقد كانت حركة الرحالة المستشرقين إلى مكة المكرمة في ظاهرها حركة علمية ثقافية تاريخية استكشافية معرفية تجلّت بوضوح من خلال بعض الكتابات، بيد أن المدرسة الاستشراقية البريطانية كانت الأبرز في ذلك ولها سمات خاصة بها، لا سيما أنه دار لغطٌ كبير في حقيقة إسلام بعض الرحالة المستشرقين منهم، فماذا عن انطباعاتهم حول مكة المكرمة التي رصدوها في كتاباتهم.

حدود البحث:

الحدود المكانية: مكة المكرمة.

الحدود الزمانية: من القرن العاشر، وحتى القرن الرابع عشر الهجري.

الحدود الموضوعية: يقتصر هذا البحث على المدرسة الاستشراقية البريطانية في الرحلات إلى مكة.

منهج البحث:

اعتمدت على منهج البحث الوصفي الذي يقوم على الجمع المتأني والشامل للمادة العلمية المتوفرة ذات العلاقة بموضوع البحث من أدلة وبراهين تبرهن تساعد على الإجابة عن إشكالية البحث، فهو منهج يسعى إلى جمع الحقائق والبيانات عن الظاهرة المدروسة وتفسيرها وتحليلها واستنباط النتائج والدلالات المفيدة التي تؤدي إلى إصدار تعميمات بشأن موضوع الدراسة وكيفية الاستفادة منه، وهذا ما حاولت جاهداً تطبيقه في بحثي هذا.

كما استخدمت في بحثي المنهج التحليلي؛ وهو المنهج الذي يمكّن الباحث من القيام بتحليل الظاهرة التي يتم دراستها، ويقوم بالمقارنة بينها وبين كافة الظواهر الأخرى المرتبطة بها، لكي يتم تفسيرها وتحليلها واستنتاج الحلول بشكل علمي، ووفق هذا المنهج سأقوم بتحليل النصوص والأقوال المتعلقة برحالة المدرسة الاستشراقية البريطانية وأبعادها ومن ثم الخلوص إلى آراء وثيقة تبنى عليها استنتاجات هذه الدراسة.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على أي دراسة في هذا الموضوع، باستثناء بعض الكتب العامة والتاريخية عن الرحالة الأوروبيين إلى عدة بلدان في العالم الإسلامي، وكذلك ما كُتب عن بعض الرحالة المستشرقين ومغامراتهم في كثير من البلدان، وكلها تم الاستفادة منها كمراجع لهذا البحث. ولعل أقرب دراسة علمية لهذا البحث رسالة مشعل بن نايف الدهاس من جامعة أم القرى في قسم التاريخ بعنوان: الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة من خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين دراسة تاريخية وحضارية، فهذه الرسالة وغيرها قد اهتمت بجانب الرحلات من الناحية التاريخية، على أنها اقتصرت على الرحالة المشارقة في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وهذا افتراق جوهري عن بحثي هذا المتخصص بمدارس الرحالة المستشرقين إلى مكة فقط.

تقسيمات البحث:

يتكون البحث مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة المراجع مع ملخص عربي وانجليزي.

المبحث الأول: الرحلات الاستشراقية إلى مكة المكرمة.

المبحث الثاني: أبرز سمات المدرسة البريطانية في الرحلات إلى مكة المكرمة

المبحث الأول: الرحلات الاستشراقية إلى مكة المكرمة

يُعد الرحالة المستشرقون الذين وصلوا إلى مكة المكرمة من الرواد الذين حازوا بذلك وسام التميز بنوع خاص من الشجاعة، والجسارة، والصبر، والتحمل لأنواع من أوصاب الصحراء ومناخها التي لم يألفها الغربي.

وقد صاحب التوسع الغربي في البعثات والاكتشافات توسع في الوصول إلى جزيرة العرب، وكشف أسرارها التي خفيت عن الغرب قروناً طويلة، فكانت من أوائل الدول الغربية التي اكتشفت العالم المجهول عنها البرتغال، والتي قدمت كذلك أول رحّالة يسير في خدمتها في رحلة لاكتشاف الطرق البرية للشرق وهو الرحالة "فارتيما"، الذي بدأها من

مصر فالشام حتى وصل الهند مرورًا بمكة والتي زارها في موسم الحج في القرن السادس عشر.

وبعد الرحالة "فارتيما" قام "بيتس" الإنجليزي الذي أُجبر على الذهاب إلى مكة مع سيده الجزائري لأداء الحج، وباستثناء هذين الرحالتين فلم يعرف لهما نظير قبلهما زار مكة وغامر في الوصول إلى ذلك وكتب ملاحظاته عن ذلك، بتدوين الرحالة الذي يشبع الوصف، ويمتع القارئ، حتى جاء منتصف القرن الثامن عشر الميلادي وما بعده لتبدأ أسراب الرحالة تصل إلى مكة، وكثير منهم كان يُقدم عمله في صورة تقرير لمهمته التي بعثته قوى أو جمعيات في بلاد أوربا، وكأنه طي لصفحة وعهد الرحالة المغامر؛ ليبدأ عهد الرحالة المستكشف، والذي مهما بلغ به حب المغامرة والجرأة، إلا أنه يعد وصف تلك البلاد وأحوال أهلها جزءًا من مهمته الأصلية.(1)

وهذا يؤكد بوضوح البعد الاستخباراتي لبعض الرحالة المستشرقين الذين طوعوا رحلاتهم وكتاباتهم لخدمة أهداف بحكوماتهم الاستعمارية، إذ يعد الهدف الاستعماري للاستشراق وخدمة الحكومات الاستعمارية ظاهرٌ بوضوح في غايات الرحالة المستشرقين بمختلف بلدانهم ومنهم البريطانيون، فما كان لهم أن يتحملوا مشاق الرحلة ونصب السفر إلا لغايات يرزونها سامية ومهام مُنسقٌ لها مع مؤسسات حكومية.

ومع بدايات عصر النهضة الأوروبية شجعت مملكة البرتغال الرحالة على اكتشاف العالم، وبدأت باكتشافات مهمة للعديد من المناطق التي كانت تجهلها في العالم، وكان منها مكة المكرمة، حيث ابتدأت من القرن السادس عشر الرحلة إليها، حيث كُتب عنها ما يقرب من أربع رحالات، واستمرت بعد ذلك الرحلة إليها، حتى كان اشتدادها في القرن التاسع عشر الميلادي، حيث بلغ ما كتبه الرحالة عنها خمسة عشرة رحلة.

وكثرة الرحلة إلى مكة المكرمة في القرن التاسع عشر- عصر التمدد الاستعماري- يُعطي تصورًا مهمًا لما كانت تتسم به العديد من تلك الرحلات في توجهها ودوافعها للعمل لصالح قوى الاستعمار والنفوذ، فبدت طبائع الاستعمار تظهر في كتب الرحالة فيمن همه التعرف على طرق التجارة، وموارد الاقتصاد، ومن يهمه معرفة أحوال المسلمين، وتأثير الحج على رعايا دولهم من المسلمين، ونحو ذلك مما سيظهر لنا.

لقد أبقت كتب الرحالة العديد من انطباعات روادها عن أهل مكة، وضيوفها، وتضاريسها، ووصف أحوالها، ومناخها، بأقلام لا تكل، ولا تمل، وبأسماء إسلامية تُقدم لقب الحاج، الذي يعتبر مفخرة عند المسلمين لكل من حج البيت.(2)

فبدأ السور العظيم لمكة والذي حجب الكثير من الأوروبيين عن اكتشاف ما بداخله يتراءى لجموع الرحالة الذين وصفوا كل شيء داخل مكة، فنشأة الإمبريالية الغربية الجديدة جعلت التجار وطالبي

---

(1) ينظر: برينث، بيتر، **بلاد العرب القاصية**، ترجمة: خالد أسعد وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة1411هـ، (81).

(2) ينظر: السرياني، النواب، محمد، معراج ، **مكة المكرمة في عيون غير المسلمين**، مركز تاريخ مكة، الطبعة الثانية،1432هـ، (14).

الأرباح من الاستعماريين يتقاطرون نحو إفريقيا ومنها إلى الشرق.[1]

ويمكن تقسيم الرحالة الغربيين الذين وصلوا إلى مكة إلى أربع فئات:

الأولى: أولئك الرحالة المكتشفون لمكة المكرمة إما قصدًا، أو مصادفة، من "فارتيما" و"وايلد" إلى "بيتس". ولعل هؤلاء يغلب عليهم ما يعرف بأدب الرحلة.

الثانية: المتحمسون للعلم والاطلاع، من أمثلتهم: "علي باي"، و"بوركهات". وهؤلاء الأصل يهم علمي بحت، بيد أن الطبيعة الاستشراقية أثّرت على بعض كتاباتهم لاختلال في منهجهم العلمي.

الثالثة: المولعون بالمغامرات، وحب الاطلاع، مثل: "فون مالتزن"، و"بيكنيل"، و"جيل كورتيلمون".

الرابعة: الذين غلب عليهم العمل في خدمة الاستعمار ومؤسساته، مثل: "سنوك هورخرونيه"، " عبد الله فيلبي". وهؤلاء يمكن عدهم جنود لحكوماتهم الاستعمارية، إذ كل رحلاتهم وكتاباتهم تصب في خدمة التطلعات الاستعمارية.

الخامسة: المسلمون الراغبون في الوصول إلى مكة استجابة لنداء الإيمان من أمثال: "ناصر الدين دينييه"[2] و"مالكوم إكس"[3] و"مراد هوفمان" [4].

وهؤلاء صادقون نقيون من الغايات الاستعمارية وغيرها، إنما دفعتهم مشاعرهم الإيمانية ورغبتهم في التعرف على الإسلام أكثر ورصد مشاعر المسلمين في مكة والحرم الشريف، وكذلك تعريف الأوروبيين

---

(1) ينظر: برينث، بيتر، **بلاد العرب القاصية**، (118).

(2) ناصر الدّين دِينِيه إتيِنّ دينيه Etienne Dinet مستشرق: فرنسي، ومن كبار المتفننين في التصوير، تعلم العربية وحذق أدبها، أمضى جانبًا من حياته في بلدة (بوسعادة) بالجزائر، وجهز لنفسه قبرًا بها أوصى أن يدفن فيه. أعلن سنة 1927م اعتناقه الإسلام، وأشهد جمهورًا من علماء الجزائر بحضور مفتيها ووزير العدل في =

= المملكة التونسية، وسمى نفسه (ناصر الدين) وله تصانيف بالفرنسية منها (Mohamet) في السيرة النبويّة، توفي عام: (1348 هـ/ 1929 م). ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، **الأعلام**، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر،2000 م، (1/ 83).

(3) مالكوم اكس. ولد عام: 1925م، أمريكي من أصل إفريقي، اشترك في انشطة مناهضة للعنصرية ضد السود، وحج إلى مكة عام: 1964م، والتقى الملك فيصل، وتأثر بأحوال المسلمين في الحج، والمشاهد الإسلامية، وبعد عودته إلى أمريكا، وحضوره لأحد المشاركات، تم اغتياله بإطلاق النار عليه من قبل بعض اعضاء حركة الايجا محمد عام 1965م، وقد كان مالكوم اكس خطيبا مؤثرًا، وداعية تأثر به الكثير. ينظر: اكس؛ مالكو، **سيرة ذاتية**، ترجمة: ليلى أبو زيد، بيسان، الطبعة الثانية،2000م، (244-264).

(4) الدبلوماسي والرحالة الألماني المسلم مراد هوفمان، ولد عام: 1931م، بمدينة: اشافينبرج بألمانيا من أسرة كاثوليكية، درس تخصص القتوت وتخرج من جامعة ميونخ، وأكمل دراسته حتى حصل على الدكتوراة سنة 1975م، وعمل في الخارجية الألمانية ثم مستشارًا إعلاميًا لحلف الناتو، وفي عام:1980م اعتنق الإسلام بعد دراسة وتأمل، وكتب عن الإسلام ومن أشهر كتبه الرحلة إلى الإسلام، وحج إلى مكة عام:1982م. ينظر: عبده، عرفه، **أوربيون في الحرمين الشريفين**، (207-208).

بالإسلام من خلال كتاباتهم عن مكة.

وبعضهم ينتمي إلى فئتين، والبعض يصعب تصنيفه مثل " ليون روش".

فالرحالة إلى مكة من الغربيين المستشرقين مجموعة متنافرة سخروا أنفسهم لموضوع واحد، وموضع واحد، إنها حرفة بعيدة من "بيتس" الذليل إلى "باديا" الكريم، ومن "بوركهات" العلمي إلى "كورتيلمون" الشاعري، ومن "هوخرونيه" الناكر لذاته إلى "روش" المتحدث عن سيرته الذاتية، ومن "وايلد" الغامض إلى "بيرتون" الذائع الشهرة والصيت، وهم مع ذلك فهم مختلفون في أهدافهم، وأزمانهم، وبلدانهم، لكنهم يتفقون في قصدهم لمكة المكرمة، وكتابة رحلاتهم، وتدوين انطباعاتهم عنها.(1)

وتعد المدرسة الاستشراقية البريطانية من أقدم المدارس، وأعرقها، وأطولها ارتباطًا بالشرق الإسلامي، بل بالشرق عمومًا، فمع علاقاتها التاريخية بالبلاد الإسلامية التي امتدت من حكم المسلمين في بلاد الأندلس في أواخر عهد الدولة الأموية بالأندلس، إلاَّ أن التواصل الكبير حدث في عهد التمدد الاستعماري للوجود البريطاني في البحر المتوسط، ثم في شبه القارة الهندية، وبلاد السند.

فكانت الاهتمامات الحضارية بالشرق يصحبها الاهتمام الاقتصادي، والاستعماري والعسكري بشكلٍ كبير لا يكاد ينقطع، فكانت حركة الاستشراق في بريطانيا قوية ونشطة على مر السنين، وكانت موجهة توجيهًا علميًا متقنًا لخدمة مصالح استعمارية وتبشيرية، مع ما لقيته من تشجيع ودعم مادي ومعنوي، تمثل ذلك بإنشاء العديد من المراكز الاستشراقية داخل بريطانيا، وفي مقاطعاتها الاستعمارية، ودول الكومنولث التابعة للتاج البريطاني، ككندا، واستراليا، والهند، ومصر، واشتهرت مراكزها الاستشراقية في جامعاتها العريقة مثل أكسفورد في القرن الثامن والتاسع عشر بسبب توسع النشاط الاستعماري.(2)

لقد كانت المدرسة الفرنسية والبريطانية متميّزة عن غيرها من الناحيتين الثقافية والتاريخية، فقد عمَّ اهتمامهما بلاد الشرق الأدنى والأقصى، فشمل بلاد الهند بأكملها، وبلاد الشام، مع اهتمام خاص بنصوص الكتاب المقدس، وما ورد ذكره فيها من أرض، وإرسال أعداد لا تحصى من المبشرين والخبراء بالشرق، حملوا معهم الشوق والتغني بحب الشرق، والرغبة الجامحة في كشف سحره وصحرائه بصورة متسارعة متتابعة.(3)

كما أنه "منذ بداية القرن التاسع عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت لفرنسا وبريطانيا السيطرة على الشرق والاستشراق"(4). وهذا التميز البريطاني الفرنسي لم يكن من فراغ، إنما يرجع لعوامل عدة، منها: ان بريطاني كانت حينها الدولة الأقوى والأكبر

---

(1) ينظر: رالي، أغسطس، **مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى،** ترجمة: أ.د حسن غزالة، طبعة دارة الملك عبد العزيز، 1430هـ، (287).

(2) ينظر: وزان، د. عدنان، **الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر**، مطبعة رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، (112- 113).

(3) ينظر: **الاستشراق**، إدوارد سعيد (46- 47).

(4) **الاستشراق،** إدوارد سعيد (47).

في العام حتى أطلق عليها المملكة التي لا تغيب عنها الشمس، حتى داهمها الشعور بحقها في الوصاية على دول العالم الثالث والسيادة عليها، وبعدها فرنسا التي غلب عليها الزهو من بعد نجاح ثورتها وتأسيس جمهوريتها، وهذا دفعهما ليس للاستعمار المباشر فحسب، إنما أيضًا للاستعمار غير المباشر عبر الاستشراق والرحلات والتنصير وغير ذلك.

وقد اهتمت الدراسات الاستشراقية البريطانية بموضوعات شتّى من اللغات والآداب، والعلوم، والفنون، والعقائد، والتاريخ، والجغرافيا، وكان رحالتها من أشهر الرحالة الذين كانت لهم شهرة كبيرة، مثل: "بيتس" و"بوركهات" و"بيرتون"، وكان لوصفهم أماكن مكة المكرمة، وأحوال أهلها السبق، والشهرة. فالبريطانيون كان لهم سبق واضح في مجالات شتى، بما في ذلك الاستشراق والرحلات الاستشراقية، والكتابات المختلفة المتعلقة بالشرق وببلاد المسلمين بشكلٍ خاص.

المبحث الثاني: أبرز سمات المدرسة البريطانية في الرحلات إلى مكة المكرمة

لقد كان للمدرسة البريطانية ورحالتها إلى مكة المكرمة ميزات اختصت بها دون غيرها، من أبروها:

- تميّز العديد من الرحالة في المدرسة البريطانية بمعلوماتهم الدقيقة، ومستواهم العلمي الرفيع، ممّا جعل لمعلوماتهم التي أوردوها المقام الرفيع في مدوّنات الرحلات إلى مكة المكرمة، من أمثال: "بوركهات"، و"بيرتون"، و"عبد الله فلبي"، ومع ذلك فقد أصابت بعض معلوماتهم النقص، أو فوات الدقة التي عُهدت منهم، ولعلَّ ذلك يرجع إلى النظرة السريعة للقضايا الاجتماعية في مكة، أو لسماع تلك الأخبار عن الناس ونقلهم لها، ممّا جعلهم يظنون أن حكمهم الشامل قد أصاب الحقيقة، ومن ذلك حديث "بوركهات" عن أهل مكة المكرمة، وأن عقولهم منشغلة عن طلب العلم بالبحث عن الغنيمة، والمال من الحجاج، وأنه لذلك لا يتوقع ازدهار التعليم بمكة، مع أن هذا الأمر بعينه هو ما أنكره عليه الرحالة "سنوك هورخرونيه" الرحالة الهولندي، حيث قال: "ومن المؤسف حقًا أن عالما مثل "بوركهات" يصور قصور أهل مكة في العلم والحضارة بصورة مبالغ فيها"(1).
- امتد الحديث عن ذكريات صعوبة الطريق البري إلى مكة، والمشاق التي تواجه الحجاج في طريقهم كما يبيّن ذلك "بيرتون" وبقية الرحالة.
- كما بقي الرحالة البريطانيين كغيرهم يعلنون مشقة إظهار جنسياتهم، وبلادهم، فيتسمون بأسماء إسلامية، ويتعلمون العربية، والشعائر الإسلامية، والعادات العربية كما لو كانوا من أهلها الأصليين، للتخفي والبعد عن الشكوك فيهم، لكن المفارقة التي ظهرت في المدرسة البريطانية للرحلات إعلان "هيرمان بيكنيل" دخوله لمكة المكرمة بجنسيته الصريحة، وإعلانه أن ذكر المخاطر، والعقبات، والشدائد التي تواجه الغربيين ما هي إلاَّ ضرب من الخيال والمبالغة يقصد من ورائه الرحالة إعلان قصص بطولية، وشجاعة كبيرة قاموا بها في رحلاتهم،

(1) ينظر: هورخرونيه، سنوك، **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، ترجمة وتعليق: د. محمد السرياني، ومعراج نواب، مركز تاريخ مكة المكرمة، الطبعة الثانية 1432هـ، (2/ 571).

فيظهروا أنفسهم أبطالًا، وشجعانًا في عيون قومهم.(1)

- ظهر في الرحلات البريطانية وصف مشاعر الناس، وتأثرهم في مشاهد الحج المختلفة، وتأثر الرحالة بذلك، لكن ذلك التأثير كان يخبو عند بعض رحالتهم من أمثال "بيتس" البئيس برق العبودية، والذي كان يعد ذلك التأثير صورة من صورة الحماسة العمياء، وآثار الشعور باليأس في الحياة، بينما رآه "بيرتون" مشهدًا يؤثر في النفس البشرية، ومثلما عبر "بيتس" عن مدينة مكة بأنه لا جمال فيها، فقد قال عنها "بوركهات": "بأنها مدينة جميلة"(2).

- وممّا ما تميّزت به كتب الرحالة البريطانيين حديثها العلمي الدقيق عن الأحوال العمرانية، والسكانية، والاجتماعية لمدينة مكة المكرمة، ووصف الحرم والكعبة المشرفة، حتى وصل الأمر لوصف أجساد المكيين، وبشرتهم، ولباسهم، وتعداد سكان مكة، واهتمامات السكان، والحديث عن عملهم في الطوافة، بل زاد الأمر على ذلك القدر بمحاولة التنصت لأحاديث مجالسهم؛ للتعرف على ما يهتم به الناس في شؤون حياتهم، كما حدث مع "بوركهات" الذي كان يجلس في المقاهي والمجالس؛ ليسترق السمع فيما يتداوله المكيون من أحاديث تهمهم، فكان الغالب على مجالسهم الحديث عن كنوز نابليون، وتحركات جيش محمد علي في تلك المرحلة.(3)

ويبدو لي أن الاهتمام الزائد من بعض المستشرقين الرحالة البريطانيين، كان يُقصد منها إثبات حُسن النية، بأن هذا وحده هو غاية رحلاتهم من منطلق علمي وتاريخي وأدبي بحت؛ لإخفاء الأبعاد والغايات الخرى، لا سيما ما يتصل بالتجسس ورفع التقارير إلى الحكومة البريطانية.

-كما تميّزت الرحلات البريطانية بامتدادها، وطول مدتها حتى أدرك بعض روادها عهد الدولة السعودية الثالثة، ودخول الملك عبد العزيز- رحمه الله- للحجاز، والحديث عن حجه، واهتمامه بشؤون الحج، كما حصل ذلك "لعبد الله فليبي".(4)

- أداء بعض رحالة المرسة البريطانية إسلامهم، سواءً كانت دعواهم صادقة أم غير صادقة.

ولا زال إسلام بعض الرحالة يجعل في النفس الكثير من التساؤلات عن حقيقة تلك الدعاوى، فشقيق "بيكنيل" يحكي عن أخيه أنه كان كاثوليكيًا في الغرب مسلمًا في الشرق، كما أنه لم يُذكر عنهم التغير في أحوالهم بعد الحج إلى مكة والذي يُعد غريبًا

(1) ينظر: رالي، أغسطس، **مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى**، (229).

(2) بوركهات، **رحلات في شبه الجزيرة العربية**، (97). وينظر: رحلة جوزيف بيتس، (45- 47). وينظر: بيرتون، **رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز**، ترجمة وتعليق: د. عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية للكتاب، 199هـ، (87/3).

(3) ينظر: رحلة جوزيف بيتس (47). وينظر: رالي، أغسطس، **مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى**، (137).

(4) ينظر: فيلبي، هاري سانت جون، **حاجٌّ في الجزيرة العربية**، ترجمة: عبد القادر محمود، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، 1421هـ، (27).

في حياة من ولدوا على الإسلام، فكيف بالداخل فيه. (1) والغالب على من ادعوا إسلامهم قبيل توجههم إلى مكة أو بعد وصولهم لها أنهم لم يكونوا صادقين في إسلامهم، إنما لتسهيل وصولهم مكة وبقاءهم فيها والحفاظ على أنفسهم من أي شك أو اعتداء.

المبحث الثالث: رحلات ورحالة المدرسة الاستشراقية البريطانية

سيتم في هذا المبحث استعراض أبرز وأشهر المستشرقين البريطانيين الذين كانت لهم رحلات إلى مكة المكرمة وكتاباتهم عنها، وتم اختيار ثمانية منهم وفق الآتي:

أولًا: الرحالة "جوزيف بيتس" (Joseph Pitts)(2):

رحلته: (1090-1091هـ/ 1680م):

يُعتبر "بيتس" أوَّل إنجليزي يدخل مكة، لكنه لم يكن مختارًا لرحلته، بل كان مأمورًا بالذهاب مع سيده العربي.

ولد "بيتس" في مدينة إكستر جنوب بريطانيا سنة 1074م، وتعلقت نفسه بالسفر حتى أصبح بحارًا في سن الخامسة عشر، وبعد رحلات قصيرة قام بها إلى نيوفاوند لاند وقعت سفينته في الأسر بأيدي قرصان جزائري، وبعدها بيع "بيتس" في الجزائر بصفته عبدًا.

نطق "بيتس" بالشهادتين استجابة لأوامر سيده لاحبًا في الإسلام، ولا رغبةً فيه، وبقي يراسل والديه، ويتحسر على دخوله في الإسلام، ويكرهه، ويأكل الخنزير متى ما تيسر له. ولعل حاله هذا ينطبق على غيره من الرحالة المستشرقين الذين تظاهروا بالإسلام.

قام "بيتس" بزيارة إلى مكة مع مالكه الثالث الذي يصفه بأنه دمث الأخلاق في عام 1091م، كان طريق رحلتهم من الجزائر إلى الإسكندرية بواسطة البحر ثم عبر صحراء السويس إلى البحر الأحمر ليركبوا في السفينة التي أوصلتهم إلى جدة.

لبس "بيتس" الإحرام، ورأى مشاعر المسلمين، ودموعهم، وحماسهم لرؤية الكعبة، ورأى تدافع الناس لشرب ماء المطر الذي نزل من تحت ميزاب الكعبة، كما وجد طعم ماء زمزم أجاجًا يُسبب قروحًا تظهر على الجسم، ولعل ذلك بسبب طبيعة بدن "بيتس"، أما ماء زمزم فهو ماء مبارك، وهو خير ماء على وجه الأرض، كما جاء الحديث عن النبي -ﷺ- بأنه: (خير ماء على وجه الأرض) (3).

وماء زمزم ليس عذبًا حلوًا، بل يميل للملوحة، والمؤمن يستحب أن يكثر من شرب ماء زمز، وذلك من علامات الإيمان، وسعي المؤمن للحصول على

---

(1) ينظر: رالي، أغسطس، **مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى،** (229).

(2) ينظر: بتس، جوزيف، **رحلة جوزيف بتس،** ترجمة ودراسة: د. عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1995م، (45-71)، رالي، أغسطس، **مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى،** (99-104).

(3) أخرجه الطبراني، سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير،** تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة الزهراء، الطبعة الثانية 1404هـ، (98/11).

البركة التي حبى الله بها ماء زمزم (1).

أمضى "بيتس" في مكة أربعة أشهر أدرك فيها شهر رمضان والحج، فرأى القافلة المصرية ومعها كسوة الكعبة، والقافلة التركية والتي تأتي عبر تركيا، ودمشق، ورأى القافلة المغربية برًا إلى مصر، وقافلة الهند الشرقية ببضائعها الثرية المتنوّعة.

خلَّفت مكة انطباعًا موحشًا لدى "بيتس"، حيث رآها مدينة لا زرع فيها ولا شجر، تحيط بها الجبال والهضاب الجرداء، كما رأى أن أبنيتها رديئة وعادية، ودون لمسات جمالية تُذكر، وسكانها فقراء، وهزالا، وسمر البشرة، ونحفاء جدًا، أما مناخُها فحار جدًا حتى في الليل.

دخل "بيتس" الكعبة مرتين، ورأى مشهد الناس في عرفات ووصفه بأنه مشهد " يخلب اللب حقًا أن ترى هذه الألوف في لباس التواضع والتجرد من ملذات الدنيا، برؤوسهم العارية، قد بللت الدموع وجناتهم، وأن تسمع تضرعاتهم طالبين الغفران والصفح لبدء حياة جديدة "(2).

وهنا يظهر الاضطراب والتناقض فيما سطّره "بيتس" عن مكة من مشاعره الخاصة، بين الثناء والذم، بين الإعجاب والانتقاص، بين الإجلال والبخس، ولا غرابة في هذا منه إذ لم يستشعر تمامًا المعاني الإيمانية والروحانية لمكة في قلوب المسلمين، ولا يُتوقع منه أكثر من ذلك، أما وصفه العام لمكة فكان متميزًا..

---

(1) ينظر: العثيمين، محمد بن صالح، **الشرح الممتع على زاد المستقنع**، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1425هـ، (348/7).

(2) رحلة جوزيف بيتس، (60).

وعندما أعتقه سيده بعد رحلته من مكة استطاع التوجه إلى إيطاليا، ثم التوجه إلى موطنه عبر ألمانيا، والالتقاء بوالده بعد خمسة عشر سنة قضاها في الجزائر.

وقد اعتبرت رحلة بيتس من أفضل الرحلات التي وصفت قوافل الحج، ومشاهد مكة، " ولا شك في أن الرقيق الحدث كان متوقد الذكاء، ولم تكن عيناه في جيبه، وقد رسم الأشياء – دون أي تنميق- بموضوعية تستلفت النظر، وتمكن من التعمق في فهم عقلية الحجاج الدينية، فوصفها باحترام كلي، رغم أنه لم يؤمن بما يؤمنون"(3).

ثانيًا: الرحالة "جون لويس بوركهارت" (John Ludwig Burkardt) :(4) (شيخ حاج إبراهيم): رحلته: (1230هـ/ 1814-1815م):

تعتبر رحلة "بوركهارت" أساسًا في معرفة مكة بشكلٍ دقيق، حتى إنه لم يأت رحالة بعده بأكثر شمولية ممّا جاء به إلا ما كان من الرحالة "سنوك هورخرونيه"

---

(3) بيرين، جاكلين، **اكتشاف الجزيرة العربية**، تعريب: قدري قلعجي، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، 2006م، (73-74).

(4) ينظر: رحلات في شبه جزيرة العرب، جون لويس بوركهات، وينظر: المستشرقون، نجيب العقيقي، (52/2-53). رالي، أغسطس، **مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى،** (126- 149)، زيمة، البرخت، **شبه الجزيرة العربية في كتابات الرحالة الغربيين في مائة عام 1770م-1870م**، ترجمة: د. غازي عبد الرحيم، شنّيك، طبعة مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1419هـ، (18)، بدول، د. روبن، **الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية**، (44-53).

في بعض المواضع، فمع "بوركهارت" انتهى عصر المغامرين الهواة، وبدأ عصر الحقائق والمشاهد، فلا يصف الرحالة مشاعر دخوله لمكة بتوتر عصبي، ولا يصف مشاعر الراحة حين مغادرته لها، بل يصور مشاهداته بمكة كما هي في أرضها وسمائها، ومشاعر وأعمال زوارها، "لقد كان أول رحالة بجزيرة العرب يُدرك تمام الإدراك ضرورة أن يلتزم المستكشف بمتابعة كافة أنواع التقصي وضروبه، وقلة من الرحالين هم الذين يتركون نَزرًا يسيرًا مما ينبغي متابعته لمن يأتي بعدهم"(1).

ولد "بوركهات" في مدينة كيرجارتن الألمانية سنة: 1784م، وتلقى تعليمه في جامعتي: لايبرنيغ وغوتينجين، ولما رفض الخدمة العسكرية في جيش نابليون في سنة: 1806م قرر السفر إلى بريطانيا، وتجنس بالجنسية البريطانية، وتملكه حب المعرفة، فدرس العلوم واللغة العربية في لندن، وكيمبرج، ودخل في خدمة الجمعية الإفريقية البريطانية. (2)

وفي عام 1809م قام برحلته الأولى لمصلحة لجنة المنظمة الإفريقية في إنجلترا، ولما وصل مالطا اطلع على رسالة "سيتزن" إلى تاجر إنجليزي يعطيه خطة للأسفار، ممّا أعان "بوركهارت" على وضع خطة في سفره للشرق، ولذا يُعد من رواد المدرسة الإنجليزية بتمويلها له، وحصوله على الجنسية الإنجليزية.

وقد تنكر "بوركهارت" في زي متسول حين وصوله لجدة، وكانت ثيابه رثة لدرجة أنه أُعفي من الرسوم، وكان ذلك بعد سنوات قضاها بين الشام، وبلاد النوبة، ومصر تعلم فيها اللغة العربية والآداب الإسلامية.

عانى "بوركهات" من قلّة المال، وعجزه عن الحصول عليه مما اضطره إلى بيع خادمه، والتواصل مع محمد علي باشا والذي كان مقيمًا في الطائف لحرب السعوديين، كما عانى من شكوك محمد علي بأنه في مهمة تجسس على بلاد العرب ومحمد علي خاصة لصالح الإنجليز، مع دفعه لهذه التهمة، وقد حصل في مجلس محمد علي أن ناقشه بعض علماء الشريعة فأعلنوا بعد سماع أجوبته بأنه ليس مسلمًا فحسب، بل واسع العلم بالإسلام.

وبعد مغادرته الطائف أحرم من الميقات متجهًا لمكة المكرمة وعانى في الطريق من المطر والسيول، وحين وصل مكة قام بالطواف، وقبّل الحجر الأسود، وشرب من ماء زمزم، ثم سعى بين الصفا والمروة، وأدّى العمرة، فأعطى أدق التفاصيل عن تلك المناسك، ووصف حال المسلمين بالليل في رمضان في صلاتهم، وجلوسهم في المسجد الحرام، وشبّه ذلك بتجمع أوربي ضخم.

وهروبًا من المضايقات والتوجس منه تقمص "بوركهات" شخصية مملوكي ممّا مكنه من الاختلاط أكثر بحجاج أجانب.

كما استفاد "بوركهات" من المدة الفاصلة قبل الحج بإجراء أبحاث وصف من خلالها مكة بأنها مدينة جميلة في مساحة تبلغ حوالي: خمسمائة وثلاثة آلاف خطوة، وأسوارها هي الحواجز الطبيعية من التلال المحيطة بها، ومعظم شوارعها عريضة تختلف عن باقي شوارع مدن الشرق؛ لتسهيل حركة الحشود وقت الحج، ومنازل مكة من الحجر الرمادي الباهت اللون،

---

(1) هوجرث، دافيد جورج، **ارتياد الجزيرة العربية**، (145).

(2) ينظر: برينث، بيتر، **بلاد العرب القاصية**، (108).

كما أن نوافذها كثيرة على الشارع مع أن هذه السمة غير شرقية، كما وصف أحياء مكة، وشوارعها، وأحوالها في فترة الحج، وكيف أنها تزدحم بالبازار، والمقاهي، كما دوّن عن التركيبة السكانية لمكة المكرمة، فذكر أن معظم سكانها من الأجانب، مع وجود بقايا من قبيلة قريش، واهتمام أهل مكة بلبس الثياب وتأنقهم.

وتحدّث عن أشغال أهل مكة، وأن غالبهم يشتغل مهنة التجارة، وأنه لا يوجد في مكة مصانع، وأكثر ما تكون التجارة مزدهرة في موسم الحج.

وتحدّث عن المسجد الحرام والصلاة فيه، وعدد المصلين بأنه يبلغ من ستة إلى ثمانية آلاف، وتأثر "بوركهات" بمشهد صلاتهم، وحبهم لمكة، وأدائهم المشاعر مع بُعد بلادهم.

وبيّن أحوال الحجاج يوم عرفة، وانشغالهم بقراءة القرآن، وكثرة الابتهالات، وقد ذكر أن تعداد الحجاج في صعيد عرفة حوالي سبعين ألفًا، وقدر ما سمعه من اللغات أربعين لغة.

وكانت الحجاز في وقت زيارته لها تعاني الحرب بين السعوديين وجيش محمد علي باشا، والتي انتهت بانتصار محمد علي وخلو الحجاز له.

وقد قدم "بوركهارت" للأوروبيين أول معلومات دقيقة عن مكة المكرمة، مع ما تميزت به شخصيته من الشجاعة والإقدام حتى قال الرحالة "موريس تاميزييه": " ويطيب لي أن أسجل هنا بمزيد من الشرف لصالح هذا المستكشف أنه لم يكن هناك أحد غيره على الإطلاق يتمتع بالنظرة الثاقبة في الملاحظة والرصد، أو قادر على تلخيص النتائج الناجمة عن تدقيقه وفحصه"(1).

فكان "بوركهارت" أول أوروبي يرسم صورة مفصلة عن مكة المكرمة في كتاب تلقفه الأوربيون في كل مكان، واهتدوا به، فقد كان من أوائل شهود العيان على مشاهد الحج بمكة المكرمة (2).

ومع كل ما عاناه "بوركهات" من ألم الفقر، والمرض، والبرد إلاَّ أنه لم يستمتع بأي رحلة أخرى إلى الشرق مثلما استمتع ونعم بالراحة في مكة -كما قال ذلك-. (3)

والجمع بين المشقة والمتعة في رحلة "بوركهارت" تأكيدٌ على تأثير مكة وما فيها من مشاعر مقدسة على زائريها وإن لم يكونوا مسلمين من مهما كانت المشقة، وتأكيد على إخلاصه في مهمته في رحلته إلى مكة.

ثالثًا: الرحالة "ريتشارد بيرتون" (Richard Burton) (4): (الشيخ حاج عبد الله):

---

(1) تاميزييه، موريس، **رحلة في بلاد العرب الحجاز**، ترجمة د. محمد عبد الله آل زلفة، دار العرب للنشر والتوزيع1421هـ، (186).

(2) ينظر: عطا الله، سمير، **قافلة الحبر الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج 1762 -1950م** ، دار الساقي، الطبعة الثانية، 1998م ، (18).

(3) ينظر: مكة في عيون رحالة نصارى، أغسطس رالي، (132).

(4) ينظر: بيرتون، **رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز**، (22/3-86)، وينظر: رالي، أغسطس، **مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى،** (195-219). العقيقي، نجيب، **المستشرقون،** دار المعارف، الطبعة الخامسة، =

رحلته :(1269هـ /1853م):

ارتبط اسم مكة في رحلات الغربيين باسم "بيرتون" الذي بلغت شهرته وشهرة رحلته الآفاق، وكان نصيب كتابه عن الحج الفخر والزهو به من لدن "بيرتون".

ولد "بيرتون" سنة 1821م في (بارم هاوس) بمقاطعة هارتفورد شاير بإنجلترا، وتعلم بطريقة غير نظامية، وعندما بلغ التاسعة عشرة التحق بجامعة أكسفورد، فكرهها لأنظمتها الصارمة، وغرفتها الرطبة، وطعامها الرديء، وأجراسها التي لا تكف عن القرع، لكنه كان مع ذلك مولعًا بالقراءة، ويقرأ ما لا يقل عن اثنتي عشرة ساعة في اليوم، كما تعلّم العربية، وأتقنها في وقت وجيز.

التحق "بيرتون" بجيش الهند، وهناك قرب من الشرق، وتعرّف عليه، ورأى المسلمين في إقليم السند، وتعرّف على الإسلام، وهناك حدث له التغيّر في حقبة زمنية مهمة كان لها التأثير الثقافي والتكويني في حياته، فاكتسب معرفة دقيقة بالأخلاقيات والسلوكيات الإسلامية، وفكر آنذاك للمرة الأولى بمشروع الحج.

عاد "بيرتون" إلى إنجلترا بعد تدهور صحته، وقد نشر عدّة كتب ومقالات، في دوريات وجمعيات علمية، وأتقن عددًا من اللغات في ذلك الوقت.

بعد ذلك ارتحل "بيرتون" من ميناء ساوثامبتون الإنجليزي متجهًا إلى مصر قاصدًا الحج إلى مكة، وكانت أوّل محطاته مصر، ومنها اتجه بحرًا إلى جدة في رحلة شاقة مجهدة، عانى فيها "بيرتون" الخوف من انكشاف أمره فادعى أولًا أنه فارسي، ثم أفغاني يعيش في الهند، وفي مصر درس التعاليم الإسلامية من صفة الصلاة والحج، وتعلّم قراءة القرآن وغير ذلك.

ومن مصر توجه إلى ينبع على متن سفينة شراعية عانى فيها حر الشمس، وشجار الرفقة، وطول السفر، حيث استغرق وصولهم إلى ينبع اثنا عشر يومًا.

وكان قد التقي في مصر بشاب اسمه محمد من أهل مكة، كان رفيقه في سفره مع خادمه الهندي الشيخ نور، ومن ينبع توجه إلى المدينة، ومنها إلى مكة في أحداث مجهدة، ورحلة مرهقة، كان الماء فيها أنفس المتاع، ورأى فيها شجاعة الحجازيين، ومنعهم البدو من الاعتداء على قافلة الحج.

وبعد اثني عشر يومًا من الرحلة عن المدينة وصل إلى مكة المكرمة، وكتب في وصفها قائلًا: "هناك أخيرًا تحقق هدف آمالي ومخططاتي التي استغرقت أعوامًا كثيرة، وهدف رحلتي الطويلة الشاقة لأداء الحج (1)".

وبين أنه لا وجود في مكة لآثار عملاقة غارقة في القدم كما في مصر، أو بقايا لجمال متسم بالبهاء والتناغم كما في اليونان وإيطاليا، أو الجمال الهمجي الفتّان كما في عمارات الهند، ومع ذلك كان المنظر غريبًا وفريدًا، "يمكن أن أقول بصدق أنه من بين كل المؤمنين العابدين المتعلقين بأستار الكعبة باكين، والضاغطين بقلوبهم على الحجر الأسود، لا أحد

=

2006م، (59/2-60)، بدول، د. روبن، **الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية**، (54-66).

(1) رحلة بيرتون، (36/3).

أعمق مشاعر من الحاج القادم من الشمال البعيد (يعني نفسه)" [1].

ويصف مشاعره عند الكعبة "لقد بدا الأمر كما لو أن الحكايات الشعرية العربية تنطق بالصدق وأن أجنحة الملائكة – لا نسائم الصباح – هي التي تحرك أستار الكعبة السوداء، وأن المشاعر الدينية الفياضة المتحمسة تؤدى لهذا التصور، أما بالنسبة لي فقد أحسست بانجذاب صوفي واحساس بالرضى"[2].

أدى "بيرتون" نسكه فطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، وشرب من ماء زمزم الذي وصف طعمه بأنه مُرٌ مالح.

وأُعجب "بيرتون" بتعدّد أشكال الناس، وأجناسهم، ولغاتهم في مكة، وكيف كان يُشكلون تجمعًا فريدًا، وصوّر ابتهالات المسلمين على اختلاف أجناسهم عند الكعبة.

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة وصف "بيرتون" مشاعر الحج، والخروج إلى عرفة، واستعجال الناس في الإفاضة إلى المزدلفة، والتدافع إليها، ثم ما كان من رمي الجمار، والتزاحم على ذلك حتى سقط "بيرتون" من حمار ومعه مرافقه الغلام محمد، وبعدما رمى الجمار اقترح عليه الغلام محمد أن يذهب لمكة، وعندما وصل للحرم استطاع أن يدخل الكعبة حينما دفع محمد للموظفين المسؤولين المال عن ذلك.

وبعد انتهاء مشاعر الحج حضر "بيرتون" خطبة في المسجد الحرام رأى خلالها اختلاف لباس الناس، وأجناسهم، وألوانهم، ولغاتهم داخل الحرم في مشهد وصفه بأنه أكثر مناسبة دينية مُهابة شهدها في حياته.

دوّن "بيرتون" ملحوظاته عن أهل مكة وأشرافها فوصفهم بالعديد من الأخلاق السيئة، مع وصفه للأخلاقيات داخل مكة بأنه لا شيء يخدش الحياء في مكة يمكن للزائر أن يراه.

وكل تلك الإطلاقات في الأحكام وغيرها من "بيرتون" كانت تلقى عليه بمجرد موقف عابر يراه، أو خبر يسمعه، وهي لا تصلح حقيقة أن تكون حكمًا صحيحًا على أخلاق أهل مكة في ميزان التحرير والعدل.

وحاله هذا هو حال الكثير من الرحالة المستشرقين البريطانيين وغيرهم، إذ كان يغلب على منهجهم التسرع في إصدار أحكام جزافية عامة عن مكة بخاصة والمسلمين عموما، من موقف عابر أو تصرف فردي أو من فهم مغلوط، مع مبالغة تصحب أحكامهم هذه وعرضها كحقائق ثابتة ومؤكدة لا تقبل النقاش.

كما اهتم "بيرتون" في تدوين كل ملاحظاته عن رحلته بكل دقة، وتفصيل، وشدة تخفٍ واحتياط، حتى أنه استعمل حقيبة مغربية حمراء موثوقة بحبال من حرير على الكتف اليسرى كان الحجاج يحملون فيها المصحف، وكان "بيرتون" يقسمها على جيوب يضع فيها أقلامه، وقصاصات ورق صغيرة يمكن إخفاؤها في بطن الكف، كما قام برسم جوف الكعبة على إحرامه الأبيض.

وهكذا فقد كان "بيرتون" رحالة مغامرًا، وباحثاً

(1) المرجع السابق، (36/3).

(2) المرجع السابق نفسه، (36/3).

يستطيع الصمود أمام أي مستشرق أكاديمي في أوروبا، مع خدمته للاستعمار بنصائحه وإلهاماته كما سيأتي معنا.[1]

رابعًا: الرحالة: "هيرمان بيكنيل" (Herman Bicknell) [2]: **(حاج محمد عبد الواحد): رحلته :(1279هـ/ 1862م):**

يعتبر "هيرمان بيكنيل" الحاج الإنجليزي الوحيد الذي لم يخف جنسيته حين ذهب إلى مكة بصفته مهتديًا للإسلام، حيث مكنته معرفته بالعربية، وبالدين الإسلامي، وعلومه وعادات أهله من الدخول بين الحشود دون أن يلفت نظر أحد إليه.

ولد "بيكنيل" في سنة (1830م)، وتلقى تعليمه في باريس بجامعة هانوفر، ثم أصبح جراحًا في الجيش، ومستكشفًا للعديد من مناطق العالم في أجزاء من جاوا، والتيبت، وجبال الهيمالايا، كما أنظم إلى حملة استكشافية للمناطق القطبية، وجبال الأنديز في أمريكا الجنوبية، ومات عند صعوده لجبل ماترهورن بين إيطاليا وسويسرا.

رحل "بيكنيل" إلى القاهرة عام 1862م، وقضى فيها عدّة أشهر، ثم أبحر من السويس على متن سفينة تنقل كسوة الكعبة، ولبس الإحرام قبل وصوله إلى جدة، وتفاجأ بالجدب الشديد، والكثبان الرملية الواسعة للجزيرة العربية.

وحين وصوله إلى مكة تقدّم نحو الحرم، ووصفه بأنه: "مستطيل فسيح غير مسقوف"[3]، وتقدّم لاستلام الحجر الأسود، وأنهى مشاعر الحج.

ويصف "بيكنيل" عرفة بأنها سهل تحيط به الجبال، وتنتشر على جنباته خيام ثمانين ألف حاج على مساحة ميلين، أو ثلاثة أميال من البرية، ولشدة درجات الحرارة، والجدب الشديد لم يأسف "بيكنيل" لسرعة مغادرته مكة بعد رمي الجمار، كما وصف أن الدخول إلى مكة ليس بتلك الصعوبة التي صورها الرحالة السابقون له، بل اعتبر تلك الصعوبات مبالغًا فيها، ومع ذلك فإنه يذكر أن من الضروري كون الرحالة مسلمًا على الأقل في مظهره الخارجي، ويحمل اسمًا عربيًا، ويُجيد الحديث عن الصلوات والدعاء وصيغ الذكر، ويعرف عادات المسلمين، لكنه حذر أن السلطات ستكون عاجزة عن حماية من يعلن عن نفسه أنه كافر، ويذكرُ أن يهوديًا رفض في الآونة الأخيرة ترديد الشهادتين فصلبه العامة.

وتعرف "بيكنيل" على كثير من معارف الإسلام مما مكنه من الدخول إلى مكة بكل يسر، ولم يواجه أي مضايقة، ويصفه شقيقه بأنه: "كاثوليكي في الغرب، ومسلم في الشرق"[4].

---

(1) ينظر: سعيد، إدوارد، **الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق**، ترجمة: د. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأول، 2006م، (311-310).

(2) ينظر: رالي، أغسطس، **مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى،** (227-230).

(3) المرجع السابق، (228).

(4) المرجع السابق، (229).

خامسًا: الرحالة "جون فرايا كين" (John Fryer Keane)[1]: (حاج محمد أمين):

رحلته:(1294-1295هـ/ 1877-1878م):

ولد "كين" في مدينة وينبي في سنة 1854م، وهو نجل وليام كين الكاهن الأكبر لكاتدرائية كلكتا.

أحب المغامرة، وفر إلى البحر وهو في سن الثانية عشرة، وأهلته سبع سنوات قضاها بين المسلمين أن يفكر في المغامرة بالرحلة للحج إلى مكة.

وحين وصل "كين" إلى جدة لبس الإحرام، ووجد نفسه في حشد يخرج من الباب الشرقي لجدة بين اثنين من الحرس التركي؛ لأنه قد ضم نفسه إلى ركب أمير هندي متوجهًا إلى الديار المقدسة.

وصل مكة بعد يومين من تركه لجدة وتوقفه في حدّا، وكان الحجاج في الطريق وأماكن التوقف يكثرون من التلبية حتى وصلوا إلى مكة، حيث استأجر الأمير الهندي أحد البيوت الداخلة بجزء من بنائها في أروقة المسجد الحرام، وكان للدار ثلاثة نوافذ ضخمة تطل على صحن الحرم وكعبته، ممّا أعطى كين كثيرًا من الوقت للتأمل والنظر في الداخلين والطائفين في المسجد الحرام، ثم انطلق بعد وصوله لمكة للطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة وشرب ماء زمزم.

وأكثر "جون كين" التجول بين شعاب مكة، وتفاجأ بقول أحد الطلاب الذي خرج من المدرسة بأنه نصراني لما رآه من تغير شعره وبشرته، وتبعه بقية الطلاب، فرموا "كين" بالحجارة ولم ينقذه إلاَّ مركز تركي بين لهم أنه مسلم، وحاول دفع المتجمعين عليه وسبابهم باللغة العربية ممّا رجح يقين الحرس التركي أنه مسلم.

كما ادعى "كين" أنه التقى في مكة امرأة بريطانية اسمها: زهرة، كانت قد أُسرت في الهند، ثم تزوجها أحد قادة التمرد والذي هرب إلى مكة خوفًا من السلطات البريطانية، وذكر تملك الحزن والأسى عليها، ومحاولته لإنقاذها.

وفي يوم الخميس الثامن من ذي الحجة بدأ تدفق الحجيج إلى منى، وراقب كين موكب الشريف والباشا، وفي اليوم التالي رأى عرفات وهي مغطاة بكثافة الرجال الواقفين، وكأنها بحر مائج من الرؤوس السوداء، والأجساد البيضاء، حتى امتلأ إجلالًا من مجيء هؤلاء الناس من بلاد نائية، والغاية التي جاؤوا منها وهي طلب العفو، ودلالة الإيمان، مما جعله ينكر أن يكون مغزى هؤلاء هو المال والتكسب.

رأى "كين" وفرة اللحم عند الجزارين في يوم النحر والأيام التي بعده، وأن من المشاهد المألوفة نسر شبعان لا يفارق مكانه، ولم يدخل "كين" الكعبة المشرفة إلاَّ مرة واحدة بعد عودته من منى، وانتظر ساعتين داخلها ليتمكن من شق طريقه إلى الدرج خارجًا؛ لشدة الحر في الداخل.

ويحكي "كين" أنه قبل مغادرته مكة رأى فيضان ساحة المسجد الحرام بالأمطار، حتى وصل الماء إلى ارتفاع ثلاثة أقدام في أروقة المسجد الغربية، مع ما تلا تلك الأمطار من تفشي الطاعون والجدري، فمات الكثير جراء ذلك، ففي يوم واحد خرجت

---

(1) ينظر: كين، جون فراير، **ستة أشهر في الحجاز**، ترجمة د. إنعام إيبش، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، الطبعة الأولى 1433هـ ، (17-161)، وينظر: رالي، أغسطس، **مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى،** (231-244).

ثلاثة وستون جنازة.

كما يذكر "كين" أنه اجتمع في مكة نحو مائتي ألف حاج في ذلك العام، ويُعزي ذلك العدد الضخم إلى أن الوقوف بعرفات صادف يوم الجمعة، كما أخذ قياسات للكعبة بأداة متواضعة هي عصا الخيزران؛ لأجل ألا يشك فيه أحد.

ووصف بيوت مكة بأن كثيرًا منها مرتفع وضخم، وأنها مملوءة بالنوافذ الصغيرة، ونادرًا ما تتشابه واجهات المنازل المتجاورة في تنوّع جميل للبناء.

تألّم "كين" من تنكره وإخفائه لحقيقته، لكنه ما لبث أن غلب تألّم ضميره، واستمر على تخفيه ذلك حتى لم ينزع لبسه الإسلامي إلاَّ في بومباي والتي وصلها بعد رحلته عن مكة.

أدهش "كين" تشعب الأجناس واللغات، وبعثرة الألوان واللباس الذي اتخذه الناس بعد الإحرام. فيقول: "لقد كان مشهدًا مهيبًا أن ترى هؤلاء الآلاف من الملتحين، وأصحاب العمامات، والأشداء، والمنحدرين من العالم كله وهم واقفون، دائرة تتسع بعد أخرى حول كعبتهم المقدسة"(1).

وعند خروجه لمكة شعر بنفور الحياة التي كان يعيشها، واعترف أن حملته الاستكشافية كانت طائشة وغير مدروسة بعناية، وكره لقب (الحاج) الذي كان ينادي أصدقاؤه بعضهم بعضًا به تفاخرًا وتشريفًا.

ومع أن "كين" من أكثر الرحالة المستشرقين دقةً وتفصيلًا في وصف مكة والحرم والشعائر المقدسة، لدرجة أنه رصد كل شيء كان يراه ويواجهه مهما كان عاديًا؛ إلا أنه لم يعط لرحلته واكتشافاته وكتاباته مكانةً تليق بها مقابل ما بذله من جهد ومشقة، إذ أبدى انتقاصه لها وامتعاضه مما شاهده وقام به، مع أن رحلته بمجملها كانت مغامرة كبيرة في ظل تخفيه بلباس ومظهر إسلامي.

سادسًا: الرحالة: "آرثر جون وافل" (Arthur John Byng Wavell)(2): (الحاج علي الزنجباري): رحلته:(1326هـ /1908م):

ولد "أرثر جون بينغ وافل" في عام 1882م، وكان ينتمي إلى أسرة ضباط عسكريين، حيث تابع سير والده وأجداده فتخرج من الكلية الحربية وانضم إلى فصيل ويلز سنة 1900م، وأبحر إلى جنوب إفريقيا في السنة ذاتها وشارك في العمل العسكري قبل أن يتم التاسعة عشر من عمره.

وبعد أن شارك في العديد من الحروب في جنوب إفريقيا، وشهد الكثير من المخاطر التي قوت عزيمته واكسبته شجاعة وصلابة.

وبدأ "أرثر" بالعديد من الاستكشاف للمناطق المحيطة به لكنه كان يرى أن استمراه في الجيش سيكون عائقًا له في ذلك، فآثر ترك الخدمة العسكرية سنة 1906م، ليبحث عن حياة جديدة في أرض بعيدة، فتوجه أولًا إلى شرق إفريقيا لممارسة رياضته المفضلة الصيد، وابتاع لنفسه أرضًا بالقرب

(1) رالي، أغسطس، **مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى،** (233).

(2) ينظر: وافل، آرثر جون، مقدمة كتاب **رحلة الحاج المعاصر**، ترجمة: ريم بو زين الدين، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الطبعة الأولى، 1432هـ . (20-7).

من مومباسا، ومارس التجارة في سيسال في أرض زنجبار التي أصبحت مركزًا مهمًا لتجارة تلك المنطقة، واستمر تطلعه للاستكشاف والمغامرة فخطرت له فكرة الزيارة لمكة والمدينة المنورة، مهد أرض الإسلام والمحرمتين على غير المسلمين.

فعقد العزم في عام 1908م على التوجه إلى لحجاز متنكرًا بثياب وشخصية رجل مسلم، واتخذ لنفسه اسم (على الزنجباري) على اعتبار أنه أقام لسنتين في مومباسا قرب ساحل زنجبار الذي يقطنه مسلمون، وتعلم اللغة العربية والسواحلية.

وابتدأ رحلته من مرفأ مارسيليا الفرنسي، واصطحب معه مرافقين رئيسيين هما: مسعودي الشاب المسلم الزنجباري، والشاب العربي الآخر من حلب واسمه عبد الواحد.

وكانت رحلته في مرحلة مفصلية في علاقة العالم الإسلامي مع العالم الغربي، حيث كان موعد رحلته قبيل قيام الحرب العالمية الأولى وتأزم العلاقات بين الدولة العثمانية والعديد من الدول الأوروبية، مع ما ضمته رحلته من تدوينات تعريفية بأحوال المسلمين في الحجاز والشام ومصر والتي زارها في رحلته إلى مكة المكرمة.

لقد استطاع "آرثر" الدخول إلى لجزيرة العربية ومكة متنكرًا بأنه مسلم، وأنه جاء لأداء فريضة الحج وزيارة المدينة المنورة، وقد امتلك عدة مؤهلات تساعده في ذلك، ومنها بُعده عن كل ما يثير الشكوك عنه، فكان بعيد الاختلاط عن الناس الذي سيقع في شراك أسئلتهم الكثيرة، كما كان قد أخذ بنصيب من المعرفة عن العبادة في الإسلام، وخصوصًا منسك الحج والعمرة، مع ما تميز به من معرفته باللغة العربية والفرنسية والإيطالية والسواحلية، ومعرفة فائقة بالطب

وابتدأ "آرثر" كتابه بمقدمة عن نشأة الإسلام ودعوة النبي محمد ﷺ وبدية العهد الإسلامي الذي حكم الكثير من بلدان العالم، ودخل فيه كثير من الشعوب، وقد تضمن كلامه الكثير من حدود الإنصاف والموضوعية والاحترام للمسلمين ودينهم وتاريخهم.

وانتهت حياة "آرثر" بمقتله وهو في الثلاثين من عمره من لدن إحدى الفرق الألمانية التي هاجمها مع فصيل من المتطوعين معه في إحدى المناطق القريبة من أوغندا عام 1916م.

ويغلب على ظني أنه لو طال العمر ب "آرثر" لكان من كبار المستشرقين المنصفين بل ربما لدخل الإسلام حب فيه وقناعة وانتصر له؛ إذ كان منهجه في الكتابة عن رحلته إلى مكة من أفضل الكتابات المنصفة والمتوازنة إلى حدٍ كبير.

سابعًا: الرحالة: "إلدون رتر" (Eldon Rutter)[(1)]: رحلته:(1343هـ/ 1925-1926م):

الرحالة الإنجليزي "إلدون رتر"، كتب رحلته إلى مكة والمدينة بتفصيل شامل في كتاب أسماه: مدينتا الجزيرة العربية المقدستان، تحدث في المجلد الأول فيه عن مكة، وفي الثاني عن المدينة المنورة.

قضى الرحالة في الحجاز ما يقرب من سنة حضر فيها موسم الحج، ثم غادرها إلى الطائف، ثم عاد إلى

(1) ينظر: رتر، إلدون، **مدينتا الجزيرة العربية المقدستان**، ترجمة: د. عبد الله نصيف، مركز تاريخ مكة المكرمة،1433هـ، (1/149-363).

مكة بعد ذلك وغادرها إلى المدينة المنورة، واشتملت رحلته على خرائط لطريق رحلته إلى مكة، وتصوير للكعبة المشرفة.

بدأ "إلدون" تدوين رحلته بانطلاقه من القاهرة باتجاه السويس بواسطة القطار، ومنها إلى مصوَّع بارتيريا بواسطة باخرة إيطالية، ثم انتقل عنها بمركب شراعي إلى القحم في اليمن، ومنها سافر برًا بواسطة الجمال إلى مكة المكرمة، والتي وصلها قبل الحج بأيام.

وقد ظهر في صدر رحلته أن هدفه هو الوصول لزيارة مكة المكرمة، وأداء مناسك الحج، ولتحقيق ذلك فقد انتحل شخصية رجل سوري مسلم توجه إلى الأراضي المقدسة بنية الحج، وتعلم العربية والكثير من أحكام الدين وشرائعه، ومارسها بشكل ظاهر في أثناء إقامته بمكة، كل ذلك ليزيل عنه كل شبهة، فقد قال: "لم أعْش عن هدفي، لقد كان هدفي مكة، فالأمور الأخرى لا أهمية كبيرة لها" (1).

وتميّزت رحلة "إلدون" بدقة الوصف لكل ما رآه في مكة جغرافيًا، وتاريخيًا، واجتماعيًا، فقد وصف حال أهلها، وأفاض الحديث عن آداب المكيين، وعاداتهم الاجتماعية، مع اهتمامه بوصف الكعبة، والحرم المكي، والمشاعر، لكن ذلك الوصف صحبه أحيانًا قصصًا اخترعها أو بالغ في وصفها، يمتنع العقل حدوثها.

وهذا كان دأب "إلدون" وغيره كثير من المستشرقين الرحالة البريطانيين والأوروبيين بشكل عام، اختلاق بعض الأحداث المكذوبة، وتلفيق بعض القصص المنسوجة، والمبالغة ببعض الأوصاف الخيالية من دون أصل لها أو سند، والتي بمجملها جنوح عن الواقع والحقيقة، وكأنه يصعب عليهم الكتابة الواقعية المجردة من الأهواء الخالية من الحبكات.

كما شهد "إلدون" دخول مكة المكرمة لحكم الدولة السعودية الثالثة، وامتناع الحجاج المصريين عن شهود الحج ذلك العام، وأظهر إعجابه بشخصية الملك عبد العزيز- رحمه الله- والذي وصفه بأنه: "أسد المعارك الصحراوية الكثيرة، والسيد الحاكم لأكثر من نصف الجزيرة العربية" (2).

كما انتقد "إلدون" ممارسات الإخوان الذين شاركوا في جيش الملك عبد العزيز في كل مناسبة تعرض له، مع انتقاده لسلوك بعض المكيين خصوصًا المطوفين، وذكره لمظاهر ترفهم، وبذخهم، وجنوحهم إلى استغلال الحجاج بكل سبيل.

ثامنًا: الرحالة "هاري سانت جون فيلبي"(Harry St. John Bridger Phillby) (3):

(عبد الله فيلبي). رحلته:(1349هـ/ 1931م):

"عبد الله فيلبي" واحد من مجموعة ضباط تم تجنيدهم لحساب البعثة البريطانية في البصرة، ثم زار الأردن

---

(1) رتر، إلدون، **مدينتا الجزيرة العربية المقدستان**، (80/1).

(2) المرجع السابق، (360/1).

(3) ينظر: فيلبي، هاري سانت جون، **حاجٌّ في الجزيرة العربية**، (19-65)، وينظر: بدول، د. روبن، **الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية**، (102-90). وينظر: عبده، عرفه، **أوربيون في الحرمين الشريفين**، (197-205). وينظر: الصالح، أ.د. عبد العزيز، **الرحلات والكشوف الأثرية للعصر الحديث في شبه الجزيرة العربية**، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية تصدر عن جامعة الكويت، الطبعة الأولى، 1981م، (49-48).

والمملكة العربية السعودية وكان له دورٌ كبير في الأحداث السياسية، والعسكرية، والاقتصادية التي شكلت مرحلة مهمة في تاريخ العرب الحديث.

ولد "فيلبي" في جزيرة سيلان عام 1885م، والتحق بكلية اللغات الشرقية بجامعة أكسفورد وهو في الثالثة والعشرين من عمره، ثم عمل في الهند في السنة التي تليها، وقضى فيها نحو سبع سنوات، وعمل في العراق بعد ذلك والأردن لسنوات، واجتذبه الإسلام في الهند، فتأثر بما فيه من بساطة في تناول الحياة الخالدة وفلسفتها، لكن لم يعلن إسلامه إلاَّ بعد سنوات من ذلك حين دخل الجزيرة العربية بعد اتصاله بالملك عبد العزيز- رحمه الله-.

أدى "فيلبي" عمرته الأولى بعد إعلان إسلامه، فرأى كيف أن الإسلام أبسط ديانة عرفها العالم، وأقلها تعقيدًا، وأكثرها تأثيرًا، وشاهد كيف أن البيت لا يتوقف عن الزائرين والطائفين، وشاهد ابتهالات المصلين، ودعواتهم.

وفي موسم الحج الذي شهده في معية الملك عبد العزيز- رحمه الله- شاهد ترتيب الحج مع الملك عبد العزيز، وشهد على تساوي الناس في موقف الحج، وقارن بين أحداث يوم عرفة في زمن الأتراك، والوصاية المصرية، واهتمامهم بشأن المحمل، وموضع الخطبة يوم عرفة، ممّا لم تعد موجودة بعد ذلك في عهد الملك عبد العزيز- رحمه الله-.

كما رأى بداية الطريق الخاص بالسيارات في المشاعر، بعيدًا عن طريق الجمال، والدواب التي تنفر من صوت السيارات، وأتم حجه مع موكب الملك عبد العزيز- رحمه الله- بكل يسر وسهولة.

وهنا يظهر تميز "فيلبي" المستشرق الرحالة البريطاني المسلم في كتاباته عن مكة والمشاعر المقدسة، إذ بسبب صدق إسلامه وسلامة غايته غابت عنها الأبعاد الاستشراقية المتحاملة على الإسلام والخادمة للمستعمر، إذ تحدث وكتب بروح مسلمة، ومشاعر فياضة، وكلمات منصفة، وفهم سليم، وتمييز واضح بين ما هو صائب ومحسوب على الإسلام وما هو خاطئ لا علاقة له بالإسلام.

الخاتمة:

أولًا: نتائج البحث:

- يُعد الرحالة من المستشرقين الذين وصلوا إلى مكة المكرمة من الرواد الذين حازوا بذلك وسام التميز من الشجاعة، والجسارة، والصبر، والتحمل لأنواع من أوصاب الصحراء ومناخها لم يألفها الغربي.
- يمكن تقسيم الرحالة الغربيين الذين وصلوا إلى مكة إلى أربع فئات: الرحالة المكتشفون لمكة المكرمة إما قصدًا، أو مصادفة، أو المتحمسون للعلم والاطلاع، والمولعون بالمغامرات وحب الاطلاع، أو الذين غلب عليهم العمل في خدمة الاستعمار ومؤسساته، أو المسلمون الراغبون في الوصول إلى مكة استجابة لنداء الإيمان.
- تعد المدرسة الاستشراقية البريطانية من أقدم المدارس، وأعرقها، وأطولها ارتباطًا بالشرق الإسلامي، بل بالشرق عمومًا.
- تميّز العديد من الرحالة في المدرسة البريطانية بمعلوماتهم الدقيقة، ومستواهم العلمي الرفيع، ممّا جعل لمعلوماتهم التي أوردوها المقام الرفيع في مدوّنات الرحلات إلى مكة المكرمة.
- ثمانية من الرحالة البريطانيين المستشرقين

البريطانيين وصلوا إلى مكة المكرمة، ولكل واحد منهم شخصيته وغاياته المختلفة من يد للاستعمار إلى باحث مستطلع إلى مسلم.

ثانيًا: التوصيات:

- أوصي بالاهتمام البحثي الموسع بكافة المدارس الغربية الاستشراقية في الرحلة إلى مكة المكرمة.
- أوصي بكتابة أبحاث متخصصة حول كل نوع من أنواع الرحالة المستشرقين إلى مكة المكرمة.
- أوصي بالاستفادة التاريخية والثقافية من مجمل ما كتبه الرحالة المستشرقين عن مكة في مختلف المجالات.

قائمة المصادر والمراجع

- اكس؛ مالكو، **سيرة ذاتية**، ترجمة: ليلى أبو زيد، بيسان، الطبعة الثانية،2000م.
- بتس، جوزيف، **رحلة جوزيف بتس**، ترجمة ودراسة: د. عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1995م.
- بدول، د. روبن، **الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية**، ترجمة د. عبد الله نصيف.
- برينث، بيتر، **بلاد العرب القاصية**، ترجمة: خالد أسعد وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة1411هـ.
- بوركهات، **رحلات في شبه الجزيرة العربية**، ترجمة الدكتور عبد الرحمن الشيخ والدكتور عبد العزيز الهلابي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1413هـ.
- بيرتون، **رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز**، ترجمة وتعليق: د. عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية للكتاب، 199هـ.
- بيرين، جاكلين، **اكتشاف الجزيرة العربية**، تعريب: قدري قلعجي، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، 2006م.
- تاميزييه، موريس، **رحلة في بلاد العرب الحجاز**، ترجمة د. محمد عبد الله آل زلفة، دار العرب للنشر والتوزيع1421هـ.
- رالي، أغسطس، **مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى**، ترجمة: أ.د حسن غزالة، طبعة دارة الملك عبد العزيز، 1430هـ.
- رتر، إلدون، **مدينتا الجزيرة العربية المقدستان**، ترجمة: د. عبد الله نصيف، مركز تاريخ مكة المكرمة،1433هـ.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، **الأعلام**، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر،2000 م.
- زيمة، البرخت، **شبه الجزيرة العربية في كتابات الرحالة الغربيين في مائة عام 1770م-1870م**، ترجمة: د. غازي عبد الرحيم، شنّيك، طبعة مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1419هـ.
- السرياني، النواب، محمد، معراج، **مكة المكرمة في عيون غير المسلمين**، مركز تاريخ مكة، الطبعة الثانية،1432هـ.
- سعيد، إدوارد، **الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق**، ترجمة : د. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأول، 2006م .
- الصالح، أ.د. عبد العزيز، **الرحلات والكشوف الأثرية للعصر الحديث في شبه الجزيرة**

العربية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية تصدر عن جامعة الكويت، الطبعة الأولى،1981م.

– الطبراني، سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير،** تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة الزهراء، الطبعة الثانية 1404هـ.

– عبده، عرفه، **أوربيون في الحرمين الشريفين،** عالم الكتب، الطبعة الأولى، 2014م

– العثيمين، محمد بن صالح، **الشرح الممتع على زاد المستقنع،** دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1425هـ .

– عطا الله، سمير، **قافلة الحبر الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج1762 –1950م** ، دار الساقي، الطبعة الثانية، 1998م.

– العقيقي، نجيب، **المستشرقون،** دار المعارف، الطبعة الخامسة، 2006م.

– فيلبي، هاري سانت جون، **حاجٌّ في الجزيرة العربية،** ترجمة: عبد القادر محمود، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى،1421هـ.

– كين، جون فراير، **ستة أشهر في الحجاز،** ترجمة د. إنعام إيبش، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، الطبعة الأولى 1433هـ .

– هوجرث، دافيد جورج، **ارتياد الجزيرة العربية،** ترجمة وتعليق: د. أحمد إيبش، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى 1430هـ.

– هورخرونيه، سنوك، **صفحات من تاريخ مكة المكرمة،** ترجمة وتعليق: د. محمد السرياني، ومعراج نواب، مركز تاريخ مكة المكرمة، الطبعة الثانية 1432هـ.

– وافل، آرثر جون، **رحلة الحاج المعاصر،** ترجمة: ريم بو زين الدين، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الطبعة الأولى، 1432هـ .

– وزان، د. عدنان، **الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر،** مطبعة رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .